إمبراطور الشر

جنكيز خان



تأليف : نشأت المصري

رسوم : أيمن الزرقاني

إخراج فني : حسين الجدولية

دار الهدى للكتاب

اسم الكتاب : أمبراطور الشر (جنكيز خان)
المؤلـــف : نشأت المصرى.
رســـوم : أيمن الزرقانى
إخراج فنى : حسين المجدولية
رقم الإيداع : ٢٠٠٧/٥٥٥٨
الترقيم الدولى : I.S.B.N : 977-6150-13-6
الطبعة الأولى: مـــايو / ٢٠٠٧م
ربيع ثاني ١٤٢٨هـ

الناشر
دار الهدى للكتاب
ش الجمهورية - بيلا - كفر الشيخ - ج.م.ع
تليفون : ٠٤٧/٣٦٠٤٦٠١ - ٠٤٧/٣٦٠٩٦٠١

النشأة والحلم

مِنْ أواسطِ آسيَا بينَ سَيبيريَا شَمالاً وَالصِّينِ جَنُوبًا، انطلَقَ الكابوسُ الرَّهيبُ الذي أفزَعَ العَالَم.

في عَامِ ١١٦٢ ميلادية وُلِدَ «تيموچين»، ذَلِكَ الطِّفلُ الذي أرهبَ الدُّنيَا.

في «كيات» قَبيلَته والقبائلِ المُجَاورَة يَتحدثُ الناسُ بفخرٍ وسَعادة عَنْ إرهَابِ الآخرينَ وسرقةِ أموالِهم، وخِيانَةُ الصَّديقِ لصديقِه لِيستَأثرَ (ينفرد) بالغنائمِ وحدَه. والقتل لدَيهم أمرٌ مُعتاد، أمَّا عَقيدتُهم فهي عبادةُ قُوى الشَّرِّ منَ الجنِّ والشَّياطين.

وَسطَ هؤلاءِ النَّاسِ شَبَّ «تيموچين» يَسمَعُ ويَتعلَّمُ، ويُدرِكُ أنَّ القوَّةَ فَوْقَ كُلِّ شَيء، وفوقَ الأخلاقِ والعَواطف.

وقضَى «تيموچين» وقتَهُ في تَنمِيَةِ قُوَّتِه وقُدرتِه علَى القتلِ والقتالِ والمُناورة، وكانَ وَالدُهُ «يسوغاى خان» زَعيمُ القبيلةِ فارسًا قَويًا يَخشاهُ الجميعُ، وَكانَ حُلمُهُ الكبيرُ تَوحيدَ قَبائلِ المغول.. قَالَ لابنِه «تيموچين»: ذاتَ يومٍ سَتكونُ سيدَ هذِه القبيلة، يُنصِتُ لكَ الجميعُ ويُنفِّذونَ أوامرَك.

صفَّقَ «تيموچين» فَرِحًا، ومدَّ بَصرَهُ إلى الجبالِ الشَّاهقةِ القريبةِ في غرورٍ وكبرياء.

عودة الفارس

في يَومٍ شتويٍّ بَاردْ تَألَّمَ الأبُ «يسوغاي» ألَمًا عَظيمًا، وفشلَتْ كُلُّ الأعشابِ التِي وَصفُوهَا لعلاجِه،ومعَ غُروبِ الشمسِ ماتَ «يسوغاي»،وأحسَّ «تيموچين» أنّهُ صَارَ وَحيدًا فِي العَرَاءِ هوَ وأمُّهُ وإخوتُه، وبدأتْ قبيلةُ «التايچوت» المُجاورة يُسيئونَ مُعاملةَ «تيموچين» وأسرته، وشَعَرَ بالخطرِ يَقتربُ منْهُ، حيثُ أغارُوا عَلَى أرضِه، وَاغْتصَبُوا بعضَها، وسَرقُوا عَددًا منَ الْحيوانات، وقَبضَ عليه فُرسانُ قبيلةِ «تايچوت» وأسرُوهُ، وعَذَّبوهُ، وأهَانُوه، لَكنَّهُ استطاعَ أنْ يهربَ بمُساعدةِ صديقِ أبيه، وَلَحقَ بقَبيلته.

لمْ يَعُدْ المَكانُ آمنا كمَا كَان، ولمْ يَجدْ بَديلاً عَن الرَّحيلِ إلى مَكانٍ آخرَ آمنٍ بين الجبال.

سَافرَ «تيموچين» وأسرتُه، وفِي نفسهِ رَغبةٌ قويةٌ فِي العَودة والانتقَام، وتَابعَ تدريبَ نفسِه طَوالَ اليومِ حتَّى اكتملَتْ قوّتُهُ وكفاءَتُه، هُنا قَامَ بتنفيذِ بعضِ الإغاراتِ علَى قبيلةِ «التايچوت» وغيرِها، وانتصَرَ فيهَا كلِّها، لكنَّ أعداءَهُ أسرُوا خطيبَتَهُ عدةَ أيامٍ إلا أنهُ تمكَّنَ منْ تَخليصِهَا منَ الأسْر.

وَذَاتَ ليلَةٍ جمَعَ حَولَهُ فُرسَانَ القبائلِ المُجاورَةِ الأشدَّاء، وصرَخَ فيهِمْ بأعلَى صَوته:

–أعرفُكمْ وتَعرِفُونَي، وابتداءً منَ الليلةِ أنَا قَائدُكُمْ، وأوامري لاَ تُردُّ، ومَنْ يَعترضْ فَليبارزْنِي الآنَ أمَامَ الجَميع.. ونشرَ سيفَهُ فِي الْهَواء، وَانتظرَ قَليلاً فلَمْ يتقدَّمْ أحَد.. وصَمتَ الجميعُ.. فَأكمَلَ خُطبتَه:



-من يُخلِصْ لي سَيَكونُ لَهُ شَأنٌ معي، وَاسْمُنَا مِن الْيَومِ هُو «المَغولُ»- أي الغزاة - بدلاً مِنَ «التَّتار»، ومِن هذه اللحظة سنُخطِّطُ معًا، ونعمَلُ معًا، ونُحارِبُ معًا لنغزُوَ كُلَّ البلادِ المجاورَة، وستَكونُ صَحرَاءُ «الجُوبي» التي تُحيطُ بنا نُقطةَ الانطلاقِ إلى عالَمِنَا الجديدِ.. مَنْ يُوافقُني عَلَى ذَلكَ فَيرفَعُ سَيفه.

فرَفعَ الجميعُ سيوفَهم اقتناعًا أوْ خَوْفًا.

صفات وملامح

لم يُضعْ «تيموجين» وقتًا، وشَنَّ هجومَهُ علَى قبائلَ أخرَى وأخضعَها لسُلطانه ووحدَها تحتَ سلطتِه، ونَجحَ في كسبِ حماستِهم، وتابعَ توحيدَ المغولِ في وسْطِ آسيا،.. وكون من فُرسَانِها الأقوياءِ جيشًا لا يُقهر، وفكَّرَ في إنشاءِ إمبراطوريةً عظمَى، فجمَعَ زعماءَ القبائلِ، وطلبَ منهُم اختيارَ سيدًا للجميع، فأجمعُوا على اختيارِه، ومنحُوه لقبًا جديدًا هو «جنكيز خان» أي إمبراطور البشر.

ولم يكنْ «جنكيز» مجرَّدْ مقاتلٍ قوي، لكنَّه يمتلكُ عقليةً كبيرةً، وموهبةً في الزعامةِ والسيطرة، فهو يخططُ ويبتكرُ في فنونِ الحربِ وأساليبِ الحكم، وتجمَعُ خُطبُه بينَ التَّرهيبِ والترغيبِ، فاكتسَبَ ولاءَ جُنودِه وطاعتَهم المُطلقةَ لَه، وأحسنَ مكافأةَ المخلصينَ لَه، فزادُوا إخلاصًا، ولَمْ يُمهلِ الخائنينَ وقَضَى عَليهِم بلاَ رَحمة، فَخشيَهُ الآخرون.

وكانَ «جنكيز» طَويلَ القامَة، شَديدَ الذَّكاء، عَالِي الجبهة، ولحيتُهُ حمراء، وعيناه صفراوان، وفي أُذنَيه قرطٌ مِنْ ذهب.



وَقد اعْتمدَتْ خُططُهُ الحَربيَّة عَلَى مَبدأ «إفناء العدو» بالخديعة والهلاكِ، وتنظيمِ قوَّاته وتدريبها أوّلاً بأوّل.. فيقولُ لأعوانه:

-هاتُوا لي حِصَاني وسَيفي، فلينتحب العَالَمُ لكي يَسعدَ چنكيز.. يَحيَا السَّيف، تحيَا الحرب.. إنَّ أسعدَ أوقاتي عندَمَا أُحطِّمُ الأعداءَ، وأُطاردُهم، وأَستولي عَلى مُمتلكاتِهم، وأرى الدُّموعَ تَتساقطُ منْ أعينِ نسائهم وأطفالِهم، ونعودُ بالأسرَى.

انتخابات حره !

في عَامِ ١٢٠٦ م حَيثُ بَلَغَ چنكيز الرَّابعَةَ والأربعين، واكتملَتْ حكمتُهُ ونضجُه، اجتمعَ مُمثلونَ عنْ جميعِ القبائلِ، واختارُوا چنكيز زعيمًا أبديًّا لهمْ، وطلبَ چنكيز من رؤساءِ القبائلِ أنْ يتحدُوا، وينسَوا خلافَاتهم.. أجل، إنها بدايةُ أمَّة مغولية عظيمة.. ووضعَ «اليساق» دستورًا لهم.

تضمَّنَ الدّستورُ أنَّ معاقبةَ المخطئِ تكونُ بأقصَى عقوبةٍ، وبمكافأة الأبطالِ المُخلصين، ومُحاولةُ امتلاك العالَمِ وتدميره.

وجاء أيضًا في الدّستورِ «اليساق» ضَرُورَةُ التعاون بينَ قبائلِ المغولِ، واتّباعِ التقشُّفِ والتدريب العسكريِّ الشاق للقضاء على الأجناسِ الأخرى، ولا يجوزُ لأحد أنْ يشبعَ دُونَ أصحابه، ومنْ مرَّ بقومٍ وهم يأكلونَ فلهُ أن يشاركَهم دُونَ إذنِ منهم، وليسَ لأحدٍ أنْ يمنعَه حتى لو كان أميرًا.

كما حدَّدَ «اليساق» حقوقَ الجنودِ وواجباتهم، وقد استوعبُوا هذه التعليماتِ في عقولِهم، فلمْ يكنْ چنكيز يعرفُ القراءةَ والكتابةَ شأنَ قبيلته، وأوصاهُم بجمعِ الأسلحةِ في مستودعاتٍ كبيرةٍ لِتُستخدمَ فقط ضدَّ أعداءِ المغول..



وتَتكونُ تلكَ الأسلحةُ وعتادُ الحربِ منَ السَّيفِ والحربةِ ودُروعِ الخيلِ، والقوسِ، وقاذفاتِ اللهبِ والمنجنيقِ، وآلاتِ حفرِ الأرضِ، وأطواقِ النجاة وقِربةِ اللبنِ.

وبعدَ سنوات فكّرَ جنكيزُ في الاتجاه إلى إمبراطورية الصّين شرقًا، بعدَ أن استشارَ قوادَهُ الكبارَ المقربينَ وزعماءَ القبائل.

غزو الصين

كانَ جنكيز خان بذكائه الخارق وعبقريته العسكريّة يُدركُ أهمية العنصر البشري، فبدأ بإرسالِ جَواسيسه إلى الصّين، وأفادت التقاريرُ بأنَّ لدَى الصّين أسلحةً متقدّمةً بالنسبة للمغول، مثلَ المنجنيق الناري والعربات الضخمة.

لم يتراجعْ جنكيز عَنْ حُلمه الجديد، فَجرَّبَ إرسالَ بعضِ القوات لاختبارِ صلابة الصينيين، وَللتَّعرُّف العمليّ عَلَى أسلحتِهم.

كانَ الاختبارُ الأوَّل بـــ ٣٠,٠٠٠ فارس، في المقدّمة، ثُمَّ يلي هؤلاء الجيشُ الرئيسي، وقوامُه ٢٥٠,٠٠٠ -أي ربع مليون- جندي، ثُمَّ جنكيز خان ممتطيًا جَوادَه.

وتمكَّنَ المغولُ من فتحِ أبوابِ الصينِ المنيعة، وتقدَّمَ الهجومُ الكاسحُ المُدمرُ، لَكنَّ فَشلَت الحملةُ فِي عامِهَا الأوّل، وقَاتَلَ الصينيون قتالاً مستميتًا، وارتدَّ جنكيز بسهمٍ في ساقه.

لكن جنكيز خان لا ييئس، فعَاودَ الهجومَ الثاني، وتحققَّ لهُ النصرُ، وفرَّ إمبراطورُ الصين، لقَد اعتمَدَ جنكيزُ علَى المفاجأة وسرعة الحركة.

وسقطَت الصينُ في يدِ المغولِ عام ١٢١٧م، وبنى جنكيز لنفسِهِ عاصمةً في سُهولِ «كاركوروم»، وأصبحَ بذلكَ سيدَ آسيا بلا مُنازع.

المسلمون قتلوا تولوي

لم يشبعْ جنكيز من الانتصاراتِ والدماءِ والدمارِ، واتجهتْ نوَاياهُ الدَّاميةُ إلى إمبراطوريةِ خوارزمَ الإسلامية، وأرادَ أنْ يَستفزَّ جنوده فقالَ لهمْ:

أتسمعونَ يا رجاليَ الشُّجعان؟ لقد قتلَ المسلمونَ تولوي (ولده)، وقضَوا عَلَى أربعمائةٍ وخمسينَ من رِجالي، وهم منْ خيرَةِ قُوادي وجُنودي.. فهلْ هذَا يُحتمل؟

فصاحَ جنودُ المغولُ في غيظ: اخرُجْ بنَا إليهِم.. سنحرقُ مُدنَهم ونذبحُهم جميعًا.

وهؤلاءِ الرِّجالُ الذينَ يتحدَّثُ عنهُم جنكيز يَتضمَّنُونَ الجواسيسَ الَّذينَ يُمهِّدُونَ للحربِ، ودائمًا يتحمَّسُ جنودُ جنكيز، ويتعجَّلُونَ الحربَ لمَا يَقومُونَ به منْ سَلْبٍ ونهب، وهذَا أيضًا أحكَمَهُ ونظَّمَه جنكيز، فإنَّ الجنودَ لا يقومُونَ بالسَّلبِ والنهبِ إلاَّ بعدَ مُوافقَةِ قائدِهم، أو يكونُ الموتُ عقابًا لهمْ، وعادةً يُوافقُ القائد.

ولَمْ يكنْ الطريقُ إلى خَوارزمَ سَهلاً؛ فهُوَ صحراويٌّ وجبليٌّ مُتعرِّج، ولأنَّهُ لاَ شيءَ يُغيِّرُ منْ تَفكيرِ جنكيز، فقَدْ حَدَّثَ قُوَّادَه بأنَّهُ يَتعجَّلُ القضَاءَ عَلَى علاءِ الدِّينِ حاكِمِ خوارزم، وكانَ علاءُ الدِّينِ مَشغُولاً بالتصدِّي للصَّليبيين، ولم يكنْ لديهِ معلوماتٌ صَحيحةٌ عَنْ قُوَّةِ المَغولِ الحقيقيَّة.

وأرسَلَ چنكيزُ إلى عَلاءِ الدِّين رِسالةَ تهديد، فعقَدَ مُعاهدَةً تُجارِيَّةً مَعَهُ مُضطرًّا، وَاستغَلَّ چنكيز المعاهدةَ بإرسَالِ الْكَثيرِ منَ الجَواسيسِ في صُورَةِ تُجَّار، وَحينَ قَبَضَ علاءُ الدِّين عَلَى بَعْضِ الْجَواسيسِ كَشَفَ چنكيزُ عَنْ نَوايَاهُ قَائلاً:

- السَّمَاءُ لاَ تَتَّسعُ لشَمسَيْن، والأَرْضُ لحَاكمين.

وتحرَّكتْ جُيُوشُ الْمغول في نحو ٢٥٠,٠٠٠ مُقاتلٍ ومليونَ حصان، وَكانَ چنكيزُ بَيْنَ جُنودِه يُحارِبُ مَعَهم، وبالسُّرعَة الْمُباغتة - المفاجئة - انقضَّ الجيشُ عَلَى خوارزم، وسقطتْ المدُنُ سُقوطًا حَزينًا، كشفَ ضعفَ الشاه في الاستعداد للحرب، وظفرَ المغولُ بآلاف الأسرَى.

ولَمْ تصمُدْ بُخارَى أمامَ زَحْفِ الْمَغولِ الكَاسحِ وأدائهمُ القتَالي القَوي، وجَعلَ المغولُ منَ الأسرَى دُروعًا بشريَّةً عندَ حصارِ سَمرقَند.

لَكِن مَّاذَا يَفعلُ چنكيز خان بالأسرَى؟ وإلى أينَ يَذهبُ فكرُهُ الوُحشي؟

إنهُ- ببساطة- يُبيدُ الأسرَى أوَّلاً بأوّل!..

إلى أوربا

واصَلتْ القوَّاتُ هُجُومَهَا، فهزمت فُرسانَ چورچيا، وحقَّقتْ انتصارات مُتوالية عَلَى أوربَّا، انطلاَقًا منْ چورچيا وروسيا.

لكنْ.. أيَّةُ فَرْحة تلكَ التي شعَرَ بهَا چنكيز خان؟..كيفَ يَفرَحُ بهَذه السُّيول منَ الدِّمَاء؟!

لقَدْ أبَادَ مُدنًا بأكملها، فَكيفَ يَفخَرُ بالوَحشيَّة وَالدَّمَار؟ مَا هيَ الجرائمُ التي ارتكبَهَا هؤلاءِ النَّاسُ ليعذِّبَهم ويَقضي عليهم؟ مَاذَا فَعَلَ سُكَّانُ مَدينة



«أوغنشي» حتى يُحوّلَ مَجرى النَّهرِ فَتغرقُ المدينة؟ وَحينَ بلَغَهُ نبأُ الغرَقِ وتَشرُّدِ أهلِ المدينة ضَحِكَ وكأنَّهُ سَمِعَ نُكتةً جَميلَة!

قَالَ أحَدُ قُوَّاد جورجيا تعليقًا عَلَى وَحشية جنكيز:

– إنَّ الذَّنبَ الأكبرَ يَقعُ عَلينَا نحن؛ لأننا لم نستعدْ جيّدًا للحروب، ولم نَبْنِ جَيشًا قويًّا، ولم نبتكرْ أسلحةً جديدةً، إنَّ الذي هزمَنَا هُوَ ضَعفُنَا، وذاتَ يومٍ ستنتهي تلكَ الحروب، وعلينا أنْ نُعدَّ أنفُسَنَا حتى لا يهزِمَنَا طاغيةٌ آخر.

وقَالَ أحَدُ القَادة الرُّوس:

-هذَا الهمجيُّ المُتوحّشُ لَيسَ لهُ قلب، إنَّهُ جَاهلٌ بِدَائي، عَاشَ حَياةً كُلَّهَا قِتالٌ وصِراعات.

لكن مَّا هُو الرأيُ فِيمَا يَفعَلُهُ أصحابُ الحضارة الحديثة؟

– مَاذَا يَفعَلُ المُتعلّمُونَ المُتقدّمُونَ اليَوم؟

لاَ تزالُ المدُنُ تُدَكُّ في العراقِ وغيرِها، وتُحرَق بأبشعِ ممَّا فعَلَ جنكيز، ولا يَزالُ الصهاينة يَقتُلونَ الفلسطينيين، ويُدمّرونَ بيوتَهم وحقولَهم كلَّ يومٍ بلاَ رحمة، إنهمْ طغاةُ القرنِ الحادي والعشرين.

والذَّنبُ -كمَا قَالَ القائدُ الجورجي- يَقعُ عَلينَا؛ لأننا لم نبنِ جَيشًا قويًّا..

إمبراطور العالم

فَرَضَ جَنكيزُ علَى البلادِ التي أصبحتْ تَحتَ سيطرتِهِ إتاواتٍ كبيرة، وقَد استغلَّ جنكيز هذِهِ الأموالَ لتقويةِ جُيوشِهِ وإرضاءِ أعوانه.


Malta
MER
More
Garamantes

تأمَّلَ جنكيزُ ما وصلَ إليهِ وتنفَّسَ بارتياحٍ قائلاً: لَقَدْ أصبحَ الحُلمُ حقيقةً.. وعاشَ جنكيزُ حياةً آمنة، ومارس مع ضيوفة ألوانا من التسلية والترفيه كالمصارعة والرقص ، رغم كبر سنة حيث تجاوز السبعين من العمر .

أمَّا العالَمُ.. فعاشَ في كابوسِ جنكيزَ الرَّهيبِ سنواتٍ طويلة، وتبارَى المُنافقونَ في مَدحِه، فاعتبرَهُ أحدُهُم ظِلَّ قُوَّةِ اللهِ في الأرض!! وآخر قال: اللهُ في سمائه، وجنكيزُ في الأرض.

وأكسبتْهُ تلكَ الأحداثُ الهائلةُ نظرةً عميقةً للحَيَاة، فيَقُولُ مَثلاً:

– إنَّ مَنْ يَقدرُ عَلَى حِفظِ نظامِ بَيته يَستطيعُ إقامةَ النظامِ في إمبراطوريته، ومَن يستطيعُ قيادةَ عشرَ رجالٍ بطريقةٍ صحيحة يُمكنُهُ أنْ يَقُودَ عَشرةَ آلافِ رجل، لكنْ بالتأكيدِ لم تُكسبْهُ تلكَ الأحدَاثُ رهَافةَ الحسِّ أو رُقيَّ المشَاعر.

الثلج يذوب

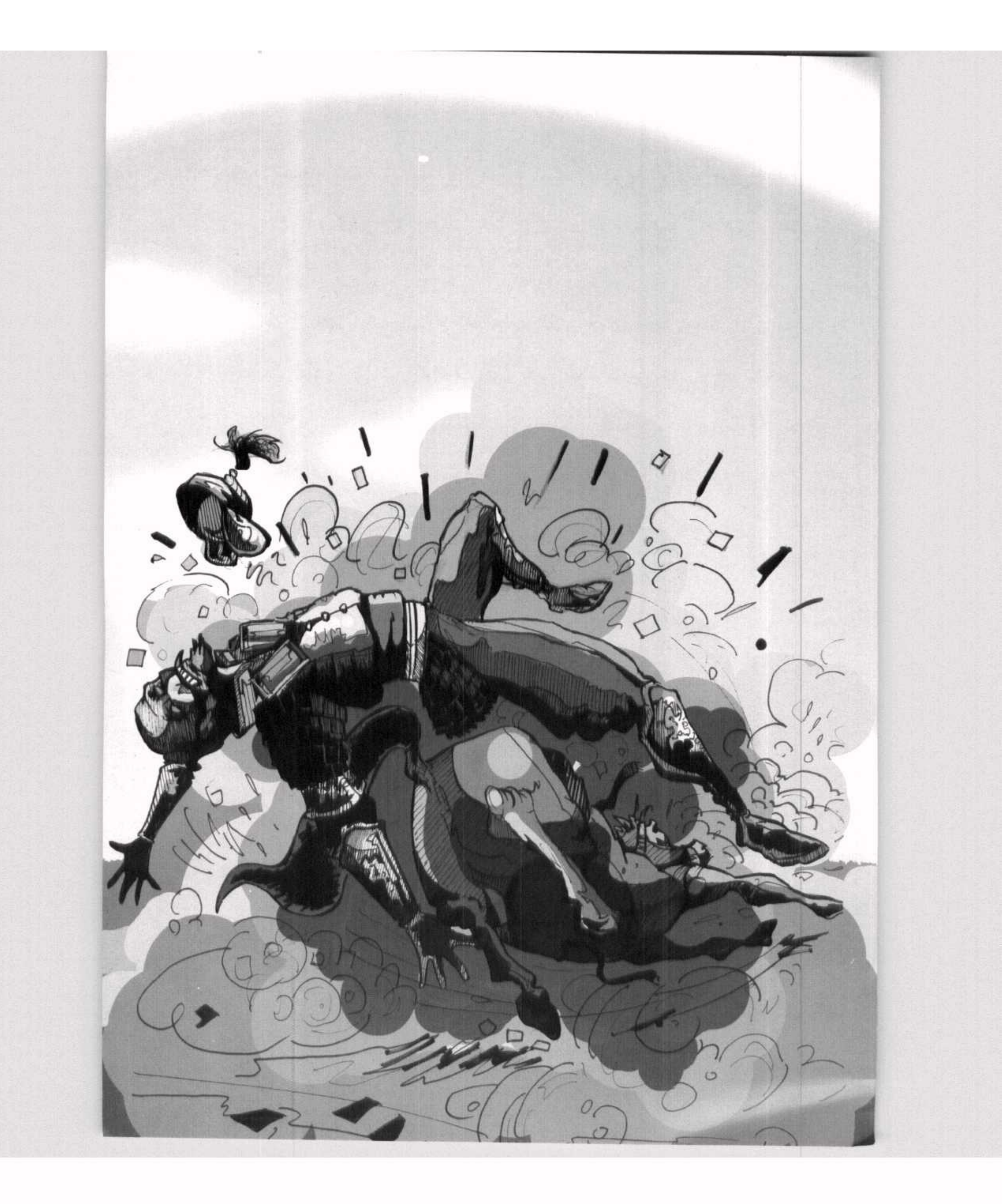
وفي لحظةِ تأمُّلٍ أكثرَ عُمقًا.. حدَّثَ نفسَهُ قائلاً: لقَدْ خضَعتْ كُلُّ هذهِ البلادِ لقُوَّتِي وسُلطاني، ولَم أعرِف الهزيمة، لَكنَّ هذا لن يَبقَى طَويلاً، فالموتُ عَلَى مقربة، ولاَ مَفرَّ منه، فكيفَ أعاندُهُ أو أفلتُ منه؟.. كيف ؟

وأرسَلَ في طَلَبِ الحَكيمِ الصِّيني «تشانج تشو» وسألَه:

– هَلْ يُمكنُ لأيِّ دوَاءٍ أنْ يُعطِيَ الإنسانَ الخلود؟

فأجابَهُ الحكيم:

– لا.. حَتَّى الثَّلجُ يَذُوبُ في أوانه.



وبعدَ بضعة أشهر، في عام ١٢٢٧ م مَاتَ چنكيز، على إثرِ سُقوطه مِنْ عَلَى جَوادِهِ في رِحلَةِ صَيد.. بلاَ حَرب.. بلاَ ضَجيج.. وحَتى.. بلاَ صَيد!!

يا إلهي.. لقدْ مضَى الفارسُ الرَّهيبُ الذي طوَى الجبالَ والسهولَ مِنَ المُحيط الهاديّ إلى نهرِ الدَّانوب، ولَمْ يقدرْ عليه فَارسٌ علَى وجهِ الأرض .. هَا هُوَ يَذعنُ لداعِي الموت، ولاَ يَملِكُ رَفضًا ولاَ تأجيلاً، وطواهُ تُرابُ الأرضِ، كمَا طَوَى غيرَهُ مِنَ العظماءِ والحقراءِ، ودُفِنَ معَ أسلحتهِ وخُيولِه.. وصارَ كَابوسًا يُحكى.. وللأسف.. يُحاكَى أيضًا.